

تفسير البحر المحيط

@ 15 تعالى : { السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ } . وقال الشاعر :

ولا أرض أبقل أبقالها .

. %)

{ مِّنْ أَهْـتَدَى } الآية قالت فرقة : نزلت الإشارة في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسد ، وفي الضلال إلى الوليد بن المغيرة . وقيل : نزلت في الوليد هذا قال : يا أهل مكة اكفروا بمحمد وإثمكم عليّ ، وتقدم تفسير { وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى } في آخر الأنعام { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا * غِيَاً } انتفاء التعذيب ببعثة الرسول عليه السلام ، والمعنى حتى يبعث رسولاً فيكذب ولا يؤمن بما جاء به من عند الله ، وانتفاء التعذيب أعم من أن يكون في الدنيا بالهلاك وغيره من العذاب أو في الآخرة بالنار فهو يشملهما ، ويدل على الشمول قوله في الهلاك في الدنيا بعد هذه الآية { وَإِذَا أَرَادْنَا نُنَازِلَ فِي الْأَرْضِ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا هَا تَدْمِيرًا } وآي كثيرة نص فيها على الهلاك في الدنيا بأنواع من العذاب حين كذبت الرسل . وقوله في عذاب الآخرة كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها : ألم يأتكم نذير ؟ وقالوا : بلى قد جاءنا نذير ، وكلما تدل على عموم أزمان الإلقاء فتعم الملقين . وقوله : { وَإِنَّ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا * مِّنْ نَّذِيرٍ } وذهب الجمهور إلى أن هذا في حكم الدنيا ، أي أن الله لا يهلك أمة بعذاب إلا من بعد الرسالة إليهم والإنذار .

قال الزمخشري : فإن قلت الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسول لأن معهم أدلة العقل التي بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه ، واستيجابهم العذاب لإغفالهم النظر فيما معهم ركونهم لذلك الإغفال الشرائع التي لا سبيل إليها إلا بالتوقيف والعمل بها لا يصح إلا بعد الإيمان . قلت : بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم (من جملة التنبيه على النظر والإيقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين ، فلو لا بعثت إلينا رسولاً ينبهنا على النظر في أدلة العقل انتهى . وقال مقاتل : المعنى وما كنا مستأصلين في الدنيا لما اقتضته الحكمة الإلهية حتى يبعث رسولاً إقامة للحجة عليهم وقطعاً للعدر عنهم ، كما فعلنا بعاد وثمود والمؤتفكات وغيرها .

{ وَإِذَا أَرَادْنَا نُنَازِلَ فِي الْأَرْضِ فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا هَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا }
فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا هَا تَدْمِيرًا * وَكَمْ أَهْلَكْنَا

مِنْ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبٍ عِدَادٍ خَبِيرًا
 بِصِيرًا * مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا * تَشَاءُ *
 لِمَن نَّزَّرْنَاهُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْوَلاَهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا *
 وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ
 سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا * كَلَّا * نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا
 كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا * انظُرْ كَيْفَ فَصَّلَّيْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
 وَلَآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا * لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ
 إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُومًا { . .

لما ذكر تعالى أنه لا يعذب أحداً حتى يبعث إليه رسولاً بين بعد ذلك علة إهلاكهم وهي
 مخالفة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم) والتمادي على الفساد . وقال الزمخشري : {
 وَإِذَا أَرَادْنَا { وقت إهلاك قوم ولم يبق من زمان إهلاكهم إلا قليل انتهى . فتؤول {
 أَرَادْنَا { على معنى دنا وقت إهلاكهم وذلك على مذهب الاعتزال . وقرأ الجمهور أمرنا ،
 وفي هذه القراءة قولان : .

أحدهما : وهو الظاهر أنه من الأمر الذي هو ضد النهي ، واختلف في متعلقة فذهب الأكثرون
 منهم ابن عباس وابن جبير إلى أن التقدير أمرناهم بالطاعة فعصوا وفسقوا . وذهب الزمخشري
 إلى أن التقدير أمرناهم بالفسق ففسقوا ورد على من قال أمرناهم بالطاعة فقال : أي
 أمرناهم بالفسق ففعلوا ، والأمر مجاز لأن حقيقة أمرهم بالفسق أن يقول لهم افسقوا وهذا لا
 يكون ، فبقي أن يكون مجازاً ، ووجه المجاز أنه صب عليهم النعمة صباً فجعلوها ذريعة إلى
 المعاصي